حوار الحضارات عند جلال الدين الرومي

تكثر في هذه الأيام اتهامات السفهاء وغير العارفين، القائلة بأن الإسلام دين منغلق في عنف واضطهاد. حيث في ظل هذه الظروف المعقدة التي يمر بها العالم ككل، وانتشار أدوات التواصل الاجتماعي والتكنولوجيات الحديثة، يسهل تناقل وجهات النظر الزائفة والتوجهات الكاذبة. توجهات تناقض رسالة الإسلام الحق. بينما يدرك الكثير من أبناء الأمة الإسلامية أن الإسلام دين تسامح وانفتاح، يتم نقل هذه الأفكار مشوشة إلى الاخر بدون تعمق ولا تمحيص. في الكثير من تلك الأماكن نفسها، التي تزدهر فيها أحكام سريعة وأفكار لا تدرك أهمية الحوار الحضاري ولا تتكلم لغته، يسطع نجم جلال الدين الرومي باهرا، ليقول بأن الإسلام دين محبة ونور.

الرسالة تلك التي ينقلها في شعره وفكره تحول أصقاع الأرض حية إلى يومنا هذا. رسالة تدعوا إلى المحبة واحترام الاخر وترفع راية دعوة روحانية للإيمان بالله وبالإسلام صادقا نابعا من نور لا ينضب. كتابات جلال الدين الرومي ترجمت إلى الإنجليزية والفرنسة والألمانية والإيطالية والبولندية والتشيكية والروسية والسويدية وحتى اليابانية وغيرها. بل إنه الشاعر رقم 1 في الولايات المتحدة الأمريكية. حقائق قد لا تصدق للوهلة الأولى. حتى وإن جابت العديد من الرسائل السلبية مجالات التواصل الحديثة والإعلام الجديد، إلا أن هناك رسالات حب وتسامح أيضا. حاملة راية الدين الإسلامي تحمل صدى يجوب أصقاع الأرض في تلك الوسائل نفسها. رسالات تقترب إلى قلوب الناس وعقولهم من كل الأجيال والأطياف، وفي ذلك قيمة وأهمية نسعى لتبيانها في هذا البحث. من هذا المنطلق فإننا سننظر إلى جلال الدين الرومي كداعية يصل صوته ليعلي نداء التسامح والحوار والحضارة.

يعرف بجلال الدين الرومي، لكن اسمه الأصل محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري. شاعر ومتصوف وعالم بفقه الحنفية وأنواع العلوم. تتلمذ تلمذة إسلامية وتبع خطى والده العلامة الجليل محمد بن حسين الخطيبي البكري في الدعوة والإمامة منذ نعومة إظفاره. "تميز بمعانيه المبتكرة، وأسلوبه العميق، وعشقه المنقطع النظير، الذي يرتفع بالشاعر المتيم إلى أسمى، وأجمل، وأمثل، ما في الصفات الإنسانية من مناقب أخلاقية، وصفات خلقية إبداعية". ولد في أفغانستان وانتقل إلى بغداد في سن الرابعة ليبدأ بالتعلم هناك.

تأثر بشمس الدين التبريزي ومحي الدين ابن عربي. توفي في مدينة قونية عام604 هجرية، 1228 ميلادية، لكن مؤلفاته لا تزال تجوب أقطار هذا العالم حتى يومنا هذا. وحتى وإن تعرض الكثير من المتصوفين الذين ممن تاهوا في تصوفهم وممن كانوا على نور، لتضييق وقتل وتعذيب، إلا أن من كانوا في اعتدال مثل جلال الدين لم ينالهم ذلك.

له مجالس سبعة، تجميع لمحاضرات ألقاها خلال حياته. قصائد المثنوية والتي تعتبر من درر القول الصوفي، وكتب عنه الكثير مما لا يزال معاصرا إلى يومنا هذا. خاصة، قواعد العشق الأربعين. كانت يجتمع عنده تلاميذ من أديان متنوعة منذ البداية يتلقون تعاليمه. وإلى الان، لا يزال أحد أكثر الشخصيات الإسلامية إلهاما في الغرب.

يركز هذا البحث على إنتاج دراسة أنموذجية لشخصية فكرية حضارية لا تزال فعالة على الرأي العام والدولي في تعزيز قيم التعايش وتخفيف منابع خطاب الكراهية. خاصة وأنها شخصية إسلامية ذات شهرة واسعة في الغرب والعالم كله، تنافي رسائل العدوانية والعنف، وتبني جسورا من المحبة والتفاهم ما بين الاخر وما بين المسلمين. ذلك الدور الملهم الذي لا تزال تلعبه كتابات جلال الدين الرومي يساهم في جعل هذا البحث أنموذجيا لاستيعاب نماذج الحوار الحضاري التي أنتجتها الحضارة الإسلامية السامية.

يتناول هذا البحث حياة تلك الشخصية الحضارية الملهمة، مارا بها من حيث التسلسل الزمني لحياة جلال الدين الرومي، ثم ناظرا بالتوازي إلى تطور مسيرته الفكرية. سنقوم تدريجيا بتتبع هذه المسيرة الفكرية ناظرين إلى أهم إنتاجاته الفكرية، وأشعاره، وفلسفته. املين إلى النظر بشكل أعمق لأفكار الحوار الحضاري عند الرومي، خاصة من ناحية التوجه نحو الاخر، وقدرة الاخر على استنشاق ذلك الرحيق الحضاري، وحمل تصور مستنير عن الدين الإسلامي، بوصفه دين تحضر ورقي ذو نور لا ينضب.